J. Bowyer Bell, **The Myth of the Guerrilla: Revolutionary Theory and Practice.** (New York, Knopf, 1971).

ان هذا الكتاب « جاف » كما يستدل على ذلك لدى قراءتنا للجزء الثاني من عنوانه ، وحتى انه بمعتبر بالنسبة للقراء من الفلسطينيين كتابا قاسيا ، ولكن كتبا كهذا هي التي يجب ان تكون موضع اهتمام في الاوقات العصيبة ، تماما كما ان المرء الذي يشعر بالبرودة لا يحصل على الدفء الحقيقي عن طريق حمام ساخن بل بحمام بارد . وبعد الفائض من الكتب الزائفة جدا عن حروب العصابات فان هذا الكتاب هو بمثابة دلو حقيقي مملوء بالماء البارد . و« الاسطورة » التي يشير اليها المؤلف — رغم انه كان من الادق لو انه استخدم كلمة دوجما — تتفرع الى ثلاثة عناصر : الاول ، هو ان حرب العصابات — اي حرب الرجل الذي يقاتل في الجبال — هي افضل سبيل امام الشعوب للتحرر من المحتلين الاجانب والزمر الحاكمة . والثاني ، هو ان حرب العصابات ستتمكن في النهاية من الالتحام مع « الجماهير » . والثالث ، هو ان تحقيق النصر أمر حتمي من خلال حرب العصابات الملتحمة مع الجماهير ، وهو حتمي لان قضية التحرير الوطني قضية عادلة ، والعدالة ، لكونها عدالة ، يجب ان تكون لها الهيمنة وايضا لانه لا يمكن الوقوف في وجه قوة اندفاع « الجماهير » .

في القسم الاول من الكتاب يعمد المؤلف الى نقد هذه الاساطير او المبادىء الدوجماتية . وهذه بحد ذاتها ليست مهمة شاقة لان القول بأن بعض الدول نالت استقلالها بأساليب سوى حرب العصابات ، عن طريق العصيان المدني ، على سبيل مثال ، وبأنه لا يمكن دائما تحريك «الجماهير» وبأن قضية العدالة لا تنتصر دائما سواء اندفعت حرب العصابات والجماهير ام لم تندفع ، أمور لا تتطلب معرفة متعمقة في التاريخ . ووجهة النظر المعروضة في هذا الباب من الكتاب مترابطة وواضحة ومتوازنة ، واذا ما خطر لاحد بأنها جديدة ، فذلك لان المحللين السياسيين وقعوا مؤخرا في العادة السيئة بالاعجاب برجال العصابات بدلا من تقييمهم — وبكلام آخر ، اصبح « رجال العصابات » كـ « الجماهير » آخر موضة .

وفي الجزء الثاني من الكتاب ، يقوم بوير بيل ، في محاولة لتثبيت صحة تحليله النظري ، بعرض ثلاثة امثلة عن فشل حرب العصابات ، مع شيء من التفصيل . وهذه الامثلة هي حروب التحرير الشعبية ضد الانظمة العنصرية البيضاء في افريقيه الجنوبية ، وحركة تشي جيفارا التي لم تكلل بالظفر في بوليفيه ، و« حرب الفدائيين الفلسطينيين » الذين يسخر من ايمانهم بأنهم يسيرون « على طريق النصر الاكيد والحتمي » . ولسوء الحظ فان هذا القسم تاريخي اكثر منه تحليلي مع اننا كنا نود لو انه كان العكس ، وذلك لان عرض المؤلف للتاريخ الفلسطيني يتميز بجهل فاضح وتحيز واضح ، فمثلا يقول بأن المقاومة الفلسطينية بدأت في العشرينات ، مع انها بدأت قبل ذلك بحوالي خمسين سنة ، ولكن هل يحق لنا ان نلوم اي كاتب غير عربي لجهله بحقائق تاريخ النضال الفلسطيني خلال التسعين سنة الاخيرة عندما لم يكلف اي شخص من الستين الف جامعي فلسطيني منذ ١٩٤٧ نفسه عناء كتابة تاريخ بلاده — بالعربية او بأية لغة اخرى ؟ ولكن رغم جهل بوير بيل بالتاريخ نرى انه توصل الى تقييم صحيح لحركة الفدائيين — وهو انها ، في فترة من الزمن ، كانت الاستجابة الوحيدة الممكنة والامينة والشجاعة التي رد بها الفلسطينيون على التحدي الذي واجههم . ثم يشرح بكل وضوح واقناع لماذا اضطر الفلسطينيون الى حمل السلاح، ولكن المؤلف لا ينجح تماما عندما يشرع في تحليل اخفاق حركة الفدائيين ، وذلك لان هذا الفصل عن الفلسطينيين كتب مباشرة بعد مجزرة أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، وهذه بكل تأكيد ليست الفترة المناسبة لتقييم حركة المقاومة ، ولكن المؤلف كان عند هذا الحد قد قرر بأن الفدائيين قد حققوا مكاسب سياسية لا يستهان بها على الصعيدين العربي والدولي ، ولكنهم اخفقوا على الصعيد العسكري ضد اسرائيل . وهنا يتساءل المرء عما اذا كان المؤلف يتوصل الى هذا الاستنتاج المتشائم نفسه لو انه كان كتب كتابه في فترة اخرى من تاريخ المقاومة . ثم ان تحليله « لاخفاق » المقاومة عسكريا سطحي ، لان هذا التحليل لا يتعدى ذكر سببين لهذا « الاخفاق » وهما : الازمة المزمنة لعدم توحيد كافة فصائل حركة المقاومة ، وخداع النفس بالبلاغات العسكرية المبالغ بها والتي تخفي وراءها حقيقة (وهي متواضعة جدا) النشاط العسكري عن قادة